(السنة الثالثة عشرة)

العدد الثالث — يوليه — سبتمبر ١٩٤٧

صحيفة دار العلوم

(١٩٣٤)

تصدرها جماعة دار العلوم

كل ثلاثة أشهر

المدير: محمد نجيب هناته

رئيس التحرير: محمد على مصطفى

المراسلات الخاصة بالتحرير ترسل باسم رئيس التحرير
بنادى دار العلوم ٧٧ شارع الملكة نازلى

الاشتراكات والحوالات المالية

ترسل باسم أمين الصندوق

السباعى بيومى
الاستاذ بدار العلوم
مكتب بريد الدواوين

الاشتراك السنوى

فى القطر المصرى ——— ٢٠ قرشاً
خارج القطر ——— ٣٠ قرشاً
ثمن العدد ——— ٥ قروش

مطبعة العلوم بشارع الخليج ١٦٢

"إن باحثاً مدققاً لو أراد أن يعترف أين تموت اللغة العربية وأين تحيا الوجدها تموت في كل مكان وتحيا في دار العلوم"

الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

النقـــد فى الأدب العربى

٣ ـ فى العصر الأموى

ـ ١ ـ

للأستاذ السباعى بيومى
وكيل كلية دار العلوم

آلت الخلافة إلى معاوية على كره من الفريق الأعظم فى الأمة ، فكان عليه أن يصرف جل اهتمامه بل كله إلى استرضاء من يمكن استرضاؤهم من هذا الفريق ، والإحالة بين من لم يرضوا وبين الطمع فى استخلاصها منه ، وكان عليه فوق ذلك ، أن يحول الخلافة الشورية التى لم تكن وقفا على بيت دون سائر البيوت ، إلى ملك عضوض يتوارث كما كانت تفعل القياصرة والأكاسرة فى الفرس والروم ، وقد أتاحت له فسحة أجله الذى امتد به عشرين سنة بعد عام الجماعة ، أن يحقق هذين الأمرين معا ، بما بذل من عناية فاقت كل عناية ، وبما تابع من جهود كانت تزلزل دون احتمالها الرواسى . ولقد كان أول جهد انصرف إليه همه بعد ذلك العام ، أن يبعث العصبية الجاهلية من مراقدها ، ويرد العرب إزاءها كما كانت شيعا وأحزابا ، وما كان أشد تعطش القبائل كتميم وقيس من مضر ، وبكر وعبد القيس من ربيعة ، وكندة والأزد من اليمن ، إلى هذا البعث ، يطفئون به غلة كانت كامنة فى نفوسهم ضد المهاجرين من قريش ، والأنصار من الخزرج والأوس ، لما كان لهما من سبق إلى الاسلام مكن لهم فى حمل أمور الدولة وأتاح لهم التمتع بسلطانها ، ولما كان مقتل عثمان قد فرق بين المهاجرين والأنصار أو بين قريش واليمن ، إذا انضم الأولون

إلى معاوية ، وثبت الآخرون مع على ، حتى قال رجل من اليمن لقريش فى حرب صفين : « والذى نفسى بيده لنقاتلنكم على تأويله كما قاتلناكم على تنزيله ، وقد كان اضطغان القبائل المذكورة وغيرها على قريش أشد منه على اليمن : لأن المهاجرين كانوا ذوى الحل والعقد وبيدهم الأمر والنهى ، وما الأنصار معهم إلا مساعدون ، فرأى معاوية حين استأثر بالأمر أن قريشا وحدها فى كفة والعرب كلها من مضرية ويمنية فى أخرى ، فكان عليه أن يؤلف اليه الطائفتين ويسترضى الفريقين ، غير أن مطامع النزاريين ، وتمكن الطامعين فى الخلافة من قريش أن يؤلفوا منهم أعوانا وأنصارا ، جعله ينصرف أولا إلى تأليف اليمنية ، ليكون منهم مع أهل الشام جبهته التى عليها يعتمد ، ويده التى بها يبطش ، وكان قد بدأ شيئا من ذلك مع الكلبيين المنتشرين منهم بدومة الجندل وتبوك وأطراف الشام ، بزواجه بنتهم ميسون بنت بحدل أم ابنه يزيد ، ولما كانت امرأة عثمان منهم فقد استنهضهم حين حرب صفين إلى الخروج لقتال على مطالبة على زعمه بدم عثمان ، ومازال يستغويهم بالمال ويتخذهم سلما إلى استرضاء غيرهم من اليمنيين ، حتى انضمت اليهم جمهرة حمير وكهلان ، وكذلك فعل مع الربعيين وبعض القيسيين من مضر ، حتى صار هؤلاء جميعا حزبه ضد جمهرة قيس من مضر وضد الأنصار من اليمن وهما أنصار العلويين .

أحيا معاوية تلك العصبية العامة كما شرحنا ، فوق ما هو ناجم من خلاف بين أمية وهاشم من عبد مناف ، وبين عبد مناف والزبيريين من قريش ، وبين هؤلاء جميعا والخوارج من سائر العرب ، فأحيا بهذه العصبيات الشعر ، وألبسه فى الاسلام ثوبه الجاهلى الفضفاض ، ولم يزل يمده بالأراث يذكى ناره ويزيد فى لهيبه ، بما كان يصنع مع الشعراء من تقريب وإبعاد ، ثم كان منه أن ترك خصومه أحراراً يقولون ما يريدون عملا بسياسته ، فى أن من ترك ينفس عن نفسه بقوله ، لا يخشى كبير خطر من فعله ، حتى كان يسمع هجاءه بأذنه فيعفو ويصفح . ولما مات ورث هذه السنة ـ سنة العمل على إحياء

العصبيات — واستخدام الدولة للشعراء خلفاءها من بعده ،وشاءت الحوادث أن تعمل بعد وفاته على زيادة الخلف واشتدادا العصبيات : إذ ما كاد يزيد ابنه يتربع كرسى الخلافة حتى خرج عليه الحسين بن على بالعراق ، وعبد الله بن الزبير فى الحجاز ، وكان أن قتل الحسين بن على،على يد واليه عبيد الله بن زياد ، فنكأ هذا القتل قروحا قديمة ، وأحدث كاوما جديدة ، غيرت من قلوب كثير على يزيد ، ولما اشتد بذلك ساعد ابن الزبير أرسل إليه جيشا ارتكب ما ارتكب فى وقعة الحرة بالمدينة وهو فى طريقه إلى ابن الزبير بمكة، ثم أحرق أستار الكعبة وصدع ركنها حين وصلها ، وحدث أن مات يزيد، وابن الزبير فى البيت على هذا الحصار ، فعاد الجيش أدراجه وإذا الأمة كلها لهذه الأحداث الثلاثة متنكرة لبنى سفيان ، ومن هنا تمكن مروان بن الحكم من أخذ البيعة لابن عبد الملك ، فقتل زعيم السفيانيين عمرو بن سعيد بالشام، وقتل مصعب بن الزبير والى أخيه عبد الله بالعراق ، ثم عبد الله نفسه بمكة، وجد فى قتال الخوارج بأطراف العراق على تدبير من واليه الحجاج وقائده المهلب بن أبى صفرة ، ومن ثم صفا له الجو وراق إلى حد ما .

بهذه الأحداث السياسية الخطيرة ، نشأ الشعر السياسى المختلف الألوان ، وكان الموطن الغالب لمؤيدى الدولة الشام . والموطن الغالب للمعارضين على اختلافهم من علويين وزبيريين وخوارج العراق ، أما الحجاز فقد بعد أو أبعدته الدولة عن السياسة ، فكان موطنا لشعر اللهو من غزل ونسيب ، ولهذه الاختلافات المتلاطمة الأمواج ، كثر الجدل حول الشعر والشعراء ، وعلى هذا الجدل بنى الأدباء الأسس الأولى للنقد ، فى شعر معاصريهم الاسلاميين غالبا ، وفى شعر أسلافهم الجاهليين الذى بعثته العصبيات فى بعض الأحيان ، فى الأديان معا ، ووجد للنقد فى هذا وذاك الكثير من الأمثال . وقد ساعد على هذه الكثرة رغبة الخلفاء والأمراء فيه ، لما عندهم من الالمام باللغة والأدب ، ولمعرفتهم الدقيقة لمحاسن الكلام ، ولمشاركتهم الفعلية فيما يجرى حول ذلك من حوار ونقاش . كان هذا من دأبهم على العهد العهد السفيانى، ثم

كان هجيراهم فى العهد المروانى ، ولما كان عبد الملك شيخ تلك الحلبة ورأس هذا الحوار لم نجد بدا من إيثاره بكلمة تمثل الدرجة التى بلغها ، وترينا النمط الذى جرى عليه النقد فى عهده .

آلت الخلافة إلى عبد الملك وكان أعلم خلفاء بنى أمية ومعقد فخارهم ، من أية ناحية نظرت إليه ، ألفيته الجواد لايشق غباره ، والفحل لايقدع أنفه ، والخصم يدين له الألداء بالاذعان والتسليم ، إن طلبت السياسة وجدت حكمة وخبرة ، وطدت الملك وقوته ، وجعلته للطائع العسل حلاوة والماء سلالة ، وعلى العاصى الصاب طعما والشوك مسا ، وان أردت دينا وعلما وجدت الشريعة قد سلمت اليه زمامها ، وألقت عنده عصا تسيارها ، من شدة حفظ للكتاب والسنة ، إلى جودة فقه لمعانيهما ، الى بعد نظر فى التشريع ومعرفة الأحكام ، فاذا مانشدت أدبا ـ وهو معنانا هنا ـ هالك منه الخضم بغزارة مائه ، وبعد قراره ، ومرتمى ساحله ، وشدة تياره ، إذا استسقيت رواك بفيضه ، وإن حاولت هاضك بموجه . ولقد ظهر ذلك جليا فى روايته للشعر وهو من صميم الأدب ، ظهورا لم يجاره فيه الرواة ، كما ظهر فى علو نقده له علوا لم يتسام إليه فى عهده النقاد ، حتى أصبح مجلسه منتدى الأدب ومنتقد الشعر ، وصفا له الوقت وطال ، فتم على يديه فتح هذا الباب ، على مصراعيه للادباء ، وهذه بعض أمثلة ترينا جودة نقده للشعر ، وحسن تقديره إياه ، وجمال تمثله به ، مع إيثار أمثلة النقد بالتكثير .

جودة نقده للشعر

١ ـ ذكر لجلسائه يوما قول نصيب

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

فكل عابه ، إذ لم تجد الرواة ولا من يفهم جواهر الكلام له مذهبا ، فقال فلو كان إليكم كيف كنتم قائلين . فقال رجل منهم كنت أقول :

أهيم بوعد ما حييت فان أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدى

فقال ما صنعت شيئا ، فقيل له فكيف كنت قائلا فى ذلك يا أمير المؤمنين قال كنت أقول .

أهيم بدعد ما حييت فان أمت فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

فقالوا أنت والله أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين .

٢ — وقال يوما لجلسائه ، أعلمتم أن الأحوص أحمق لقوله :

فما بيضة بات الظليم يحفها ويجعلها بين الجناح وحوصله

بأحسن منها يوم قالت تدللا تبدل خليلى إننى متبدله

فما أعجبه منها وهى تقول هذه المقالة :

٣ — ووفد عليه عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة فقال له أنت القائل :

أأترك ليلى ليس بينى وبينها سوى ليلة إنى إذن لصبور

قال نعم ، قال فبئس المحب أنت ، تركتها وبينك وبينها غدوة .

٤ — واستنشد أسيلم بن الأحنف الأسدى أحسن ما مدح به ، فقال قول القائل

ألا أيها الركب المخبون هل لكم بسيد أهل الشام تحبوا وترجعوا

من النفر البيض الذين إذا اعتزوا وهاب رجال حلقة الباب قعقعوا

إذا النفر السود اليمانون نمنموا له حوك برديه أجادوا وأوسعوا

جلا المسك والحمام والبيض كالدمى وفرق المدارى رأسه فهو أنزع

فقال له ، ولكن ما قال أخو الأوس أحسن مما قيل لك ، وأنشد لأبى قيس بن الأسلت .

قد حصت البيضة رأسى فما أطعم نوما غير تهجاع

٥ — ولما أنشده الأخطل قوله :

بكر العواذل يبتدرن ملامتى والعاذلون فكلهم يلحانى

فى أن سبقت بشربة مفدية صرف مشعشعة بماء شنان

قال له إن شبيب بن البرصاء أكرم منك وصفا لنفسه حيث يقول :

وإن لسهل الوجه يعرف مجلسى إذا أحزن القاذورة المتعبس

يضىء سنا جودى لمن يبتغى القرى وليل بخيل القوم ظلماء حندس

ألين لذى القرنى مرارا وتلتوى بأعناق أعدائى حبال فتمرس

٦ – ولما دخل عليه أرطأة بن سهية وكان قد هاجى شبيبا هذا استنشده بعض ما قال فيه فأنشده والخطاب « لشبيب » :

أبى كان خيرا من أبيك ولم يزل جنيبا لآبائى وأنت جنيب

قال له كذبت ، شبيب خير منك أبا ، فلما أنشده « والخطاب لشبيب أيضاً » .

ومازلت خيرا منك مذ عض كارها برأسك عادى النجاد ركوب

قال له صدقت أنت فى نفسك خير من شبيب . قال أبو عبيدة ، فعجب من عبد الملك من حضر ، لمعرفته أقدار الناس على بعدهم منه فى بواديهم ، إذ كان الأمر كما قال .

٧ – ولما قتلت بنو تغلب عمرو بن الحباب السلمى ، أنشد الأخطل عبد الملك ، والجحاف بن حكيم السلمى عنده :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

فخرج الجحاف مغضبا ، حتى أغار على البشر وهو ماء لبنى تغلب ، فقتل منهم ثلاثة وعشرين رجلا وقال يخاطب الأخطل ، وكان يكنى أبا مالك .

أبا مالك هل لمتنى مذ حضضتنى على القتل أو هل لامنى لك لائم

متى تدعنى أخرى أجبك بمثلها وأنت امرؤ بالحق ليس بعالم

فخرج الأخطل حتى جاء عبد الملك وهو يقول .

لقد أوقع الحجاج بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعول

فألا تغيرها قريش بمثلها يكن عن قريش مستمار ومرحل

فقال له عبد الملك ، وهو محل النقد ، إلى أين يابن اللخناء قال إلى النار ، فقال والله لو غيرها قلت لضربت عنقك .

٨ – ولما أنشد الأخطل عبد الملك قوله فى قيس وهو مما يعلق بما ذكر :

فلا هدى الله قيسا من ضلالتها ولا لعاً لبنى ذكوان إذ عثروا

ضجوا من الحرب إذ عضت غواربهم وقيس عيلان من أخلاقها الضجر

قال له عبد الملك لو كان الأمر كما زعمت لما قلت :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة ... إلى الله منها المشتكى والمعول

٩ — ولما دخل الجحاف بن حكيم المذكور ، على عبد الملك ، بعد أن أمنه ، وعاد من بلاد الروم، استنشده بعض ما قال فى غزوته تلك فأنشده :

صبرت سليم للطعان وعامر ... وإذا عجزنا لم نجد من يصبر

فقال له كذبت ، ما أكثر من يصبر ، فلما أنشده .

نحن الذين إذا علوا لم يفخروا ... يوم اللقاء وإن علوا لم يضجروا

قال له صدقت ، حدثنى أبى عن أبى سفيان بن حرب أنكم كنتم كما وصفتم يوم فتح مكة .

١٠ — ولما استأذنه عبيد الله بن قيس الرقيات بعد أن عفا عنه وأمنه ، وكان منقطعا إلى مصعب بن الزبير ، فى أن يمدحه فأذن له فأنشده قصيدته التى يقول فيها :

إن الأغر الذى أبوه أبو العاصى عليه الوقار والحجب

يأتلق التاج فوق مفرقه ... على جبين كأنه الذهب

قال له يا ابن قيس تمدحنى بالتاج كأنى من العجم ، وتقول فى مصعب .

إنما مصعب شهاب من الله ... تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس فيه ... جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن لا تأخذ مع المسلمين عطاءا أبدا :

١١ — ولما بلغه قول جرير فى مهاجاته الأخطل :

إن الذى حرم المكارم تغلبا ... جعل النبوة والخلافة فينا

مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم ... ياخزر تغلب من أب كأبينا

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة ... لو شئت ساقكم إلى قطينا

قال ما زاد ابن المراغة على أن جعلنى شرطيا له ، أما إنه لو قال « لو شاء ساقكم إلى قطينا » لسقتهم إليه كما قال .

١٢ — واجتمع بحضرته الفرزدق والأخطل وجرير، فأحضر بين يديه

كيسا فيه خمسمائة دينار ثم قال ، ليقل كل منكم بيتا فى مدح نفسه ، فأيكم غلب فله الكيس ، فبدأ الفرزدق فقال :

أنا القطران والشعراء جربى وفى القطران للجربى شفاء

فقال الأخطل للفرزدق :

فان تك زق زاملة فانى أنا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير لهما :

أنا الموت الذى آتى عليكم فليس لها رب منى نجاء

فقال عبد الملك ، فلعمرى إن الموت يأتى على كل شىء وقضى لجرير :

١٣ — وكأن الفرزدق وقد اجتمع عنده بعد ذلك بجرير ، ظن فى أخذ هذا المعنى غلبة على جرير فقال ، النوار طالق إن لم أقل شعرا لا يستطيع ابن المراغة أن ينقضه أبدا ولا يجد فى الزيادة عليه مذهبا ، فقال عبد الملك ما هو فأنشده :

فانى أنا الموت الذى هو واقع بنفسك فانظر كيف أنت مزاوله
وما أحد يابن الأتان بوائل من الموت إن الموت لاشك نائله

فأطرق جرير ثم قال ، أم حزرة طالق ثلاثا إن لم أكن نقضته وزدت عليه ، فقال عبد الملك هات فقد والله طلق أحدكما لا محالة فأنشد .

أنا البدر يغشى نور عينيك فالتمس بكفيك يابن القين هل أنت نائله
أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئنى بمثل الدهر شيئا يطاوله

فقال عبد الملك فضلك والله يا أبا فراس وطلق عليك ، فبانت النوار وندم الفرزدق حيث يقول :

ندمت ندامة الكسعى(١) لما غدت منى مطلقة نوار
وكانت جنتى فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضرار

(١) هو غسان بن الحارث الذى كسر قوسه بعد أن أصابت فى خمس رميات وهو يظنها مخطئة .

١٤ — وكان عبد الملك لبصره بالشعر يذعن للخصم فى النقد إذا كان مصيبا وهذا من جودة النقد أيضا .

روى أنه لما أنشد قول كثير فى أخذه الخلافة .

فما تركوها عنوة عن مودة ولكن بحد المشرفى استقالها

وأعجب به ، وكان الأخطل حاضرا فقال ، ما قلت والله يا أمير المؤمنين أحسن منه ، قال وما قلت فأنشده :

أهلوا من الشهر الحرام فأصبحوا موالى ملك لا طريف ولا غصب

جعلتها لك حقا وجعلك قد أخذتها غصبا ، قال صدقت .

١٥ — ولم يكن هذا العدول تعصبا منه لشاعره الأخطل ، فكثيرا ما كان يقضى عليه . روى أنه لما أنشده قوله :

فاذا تعاودت الأكف زجاجها نفحت فشم رياحها المزكوم

فأعجب به وقال ، سمعت بمثل هذا ياشعبى ؟ وكان الشعبى حاضرا فقال أشعر منه والله أعشى قيس حيث يقول :

من اللائى حلن على المطايا كريح المسك تستل الزكاما

قال صدقت .

حسن تقديره للشعر

كان عبد الملك ذا بصر نافذ بالشعر ، ومن ثم كان حسن التقدير له .

١ — قال لمؤدب ولده ، إذ رويتهم شعرا فلا تروهم إلا مثل قول العجير السلولى .

يبين الجار حين يبين عنى ولم تأنس إلى كلاب جارى

وتظعن جارتى من جنب بيتى ولم تستر بستر من جدارى

وتأمن أن أطالع حين آتى عليها وهى واضعة الخمار

كذلك هدى آبائى قدينا توارثه النجار عن النجار

فهدى هديهم وهم افتلونى كما افتلى العتيق من المهارى

٢ — وقال حين قبض على أزمة الأمور بيده وأصبح يرجى حلمه وصفحه ، لمدة من أهل بيته وولده ، ليقل كل واحد منكم أحسن شعر سمع، فذكروا لامرىء القيس والأعشى وطرفة وأكثروا حتى أتوا على محاسن ما قالوا ، فقال أشعر من هؤلاء والله معن بن أوس حيث يقول :

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه بحلمى عنه وهو ليس له حلم
إذا سمته وصل القرابة سامنى قطيعتها تلك السفاهة والظلم
فأسعى لكى أبنى ويهدم صالحى وليس الذى يبنى كمن شأنه الهدم
يحاول رغمى لا يحاول غيره وكالموت عندى أن يحل به رغم
فما زلت فى لينى له وتعطفى عليه كما تحنو على الولد الأم
لأستل منه الضغن حتى سللته وقد كان ذا ضغن يضيق به الحلم

٣ — وقال يوما فى مجمع من الشعراء ، يامعشر الشعراء تشبهوننا بالأسد الأنجر والجبل الوعر والملح الأجاج ، ألا قلتم كما قال كعب الأشقرى .

لقد خاب أقوام سروا ظلم الدجى يؤمون عمرا ذا الشعير وذا البر
يؤمون من نال الغنى بعد شيبه وقاسى وليدا ما يقاسى ذوو الفقر
فقل للجيم يا لبكر بن وائل مقالة من يلحى أخاه ومن يزرى
فلو كنتم حيا صميما نفيتم بخيلكم بالرغم منه وبالصغر
ولكنكم يا آل بكر بن وائل يسودكم من كان فى المال ذا وفر
هو المانع الكلب النباح وضيفه خميص الحشا يرعى النجوم التى تسرى

٤ — وقال وقد ذكر عنده زهير وهرم ، مايضر من مدح بمامدح به زهير آل ابن حارثة من قوله :

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

ألا يملك أمور الناس فما ترك زهير منهم غنيا ولا فقيرا إلا وصفه ومدحه .

٥ — وقال يوما لولده وأهله وهو من تفكهه الأدبى ، أى بيت ضربته العرب ووصفته ، أشرف حواء وأصلا وبناء ، فقالوا فأكثروا ولم يصيبوا فقال ، أكرم بيت وصفته العرب ، بيت طفيل الذى يقول فيه .

وبيت تهب الريح فى حجراته بأرض . فضاء بابه لم يحجب
سماوته أسمال برد محبر وصهوته من أتحمى معصب
وأطنابه أرسان جرد كأنها صدور القنا من بادىء ومعقب
نصبت على قوم تدور رماحهم عروق الأعادى من عرين وأشيب

٦ — ومن فكاهاته أيضا أنه قال لجلسائه ، أى المناديل أفضل فقال قائل مناديل مصر كأنها غرقىء البيض . وقال آخر مناديل اليمن كأنها نور الربيع ، فقال بل مناديل عبدة بن الطبيب حيث يقول :

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية وفار للقوم باللحم المراجيل
ورد وأشقر ما يأنيه طابخه ماغير الغلى منه فهو ما كول
ثمت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

جمال تمثله بالشعر

أما تمثله بالشعر فقد كان حليفه فى كل داعية ، جدا كانت أم مزاحا ، على إصابة فى الرمى وجمال فى الوقع .

١ — كان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه لايزال ينشده .

إنا إذا مالت دواعى الهوى وأنصت السامع للقائل
واصطرع القوم بألبابهم نقضى بحكم عادل فاصل
لانجعل الباطل حقا ولا نلظ دون الحق بالباطل
نخاف أن تسفه أحلامنا فنخمل الذهر مع الخامل

٢ — وكان يتمثل فى الحروب عند كل لقاء بقول شبيب بن البرصاء .

دعانى حصن للفرار فساءنى مواطن أن يثنى على فأشتما
فقلت لحصن نح نفسك إنما يذود الفتى عن حوضه أن يهدما
تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما
سيكفيك أطراف الأسنة فارس إذا ريع نادى بالجوار وبالحمى

إذا المرء لم يغش المكاره أوشكت حبال الهوينى بالفتى أن تجذما

٣ — ولما لاذت به زوجة عاتكة بنت يزيد حين خرج لحرب مصعب تريد منعه وأبى، فبكت وبكت معها جواريها، جلس وقال، قاتل الله كثيرا والله لكأنه يرانى ويراك ياعاتكة حيث يقول :

إذا ما أراد الغزو لم تثن همه حصان عليها عقد در يزينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه بكت فبكى مما شجاها قطينها

ثم نهض فكان فى خروجه قتل مصعب .

٤ — وعاتكة هذه هى التى حدثت بينه وبينها جفوة ووسط من خاصة من يزيلها ، فلما طلع الرسول برضاها اندفع متمثلا بقول كثير :-

وإنى لأرعى قومها من جلالها وإن أظهروا غشا نصحت لهم جهدى
ولو حاربوا قومى لكنت لقومها صديقا ولم أحمل على قومها حقدى

٥ ومع ذلك لم يستمع لها إذ جد الجد فى الحرب ، وكان هذا شأنه ، ورد عليه كتاب ابن الأشعث فى خروجه وهو يستعرض جارية بعث بها إليه وإليه على اليمن فنحاها وامتنع، فقالت مايمنعك يا أمير المؤمنين قال يمنعنى ماقاله فينا الأخطل لأنى إن خرجت منه كنت الأم العرب وأنشد :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بأطهار

٦ — ولما استنشد أبا العباس الأعمى رثاءه مصعبا فأنشده قوله :

يرحم الله مصعبا فلقـــد مات كريما ، ورام أمرا جسيما

قال أجل إنه مات كريما ، وتمثل بالبيت

ولكنه رام التى لا يرومها من الناس إلا كل حر معمم

٧ — وكان فى تمثله بالشعر جريئا لايبالى . روى أن عروة بن الزبير ، لما لحق به بعد قتله أخويه مصعب وعبد الله وأقام عنده فكان يكرمه منفردا ويستخف به مجتمعا ، قال له يا أمير المؤمنين أراك تكرم ضيفك فى الخلا وتهينه فى الملا فقال لله در زهير حيث يقول

فقرى فى بلادك إن قوما متى يدعوا بلادهم يهونوا

فاستأذن عروة فى الرجوع إلى المدينة فقضى حوائجه وأذن له .

٨ — ومن هذا أيضا أنه كان كلما نظر إلى أخيه معاوية وكان ضعيفا، تمثل بهذين البيتين للمغيرة بن حبناء فى أخيه صخر وكان كذلك :

أبوك أبى وأنت أخى ولكن تفاضلت الطبائع والظروف
وأمك حين تنسب أم صدق ولكن ابنها طبع سخيف

٩ — ولما مات أخوه عبد العزيز وكان به حدبا ، كان يكثر ترديد هذه الأبيات ويبكى :

يأيها المتمنى أن يكون فتى مثل ابن ليلى لقد خلى لك السبلا
إن ترحل العيس كى تسعى مساعيه يشفق عليك وتعمل دون ماعملا
لو سرت فى الناس أقصاهم وأقربهم فى شقة الأرض حتى تحسر الأبلا
تبغى فتى فوق ظهر الأرض ماوجدوا مثل الذى غيبوا فى بطنها رجلا
أعدد ثلاث خصال قد عرفن له هل سب من أحد أوسب أو بخلا

١٠ ولما دخل عليه نصيب بعد وفاة أخيه عبد العزيز هذا ، وكان من خواصه ومادحيه ، قال له أنشدنى مارثيت به أخى فأنشده

عرفت وجربت الأمور فما أرى كماض تلاه الغابر المتأخر
ولكن أهل الفضل من أهل نعمتى يمرون أسلافا أمامى وأغبر
فان أبكه أعذر وان أغلب الأسى بصبر فمثلى عندما اشتد يصبر

أعاد بيته الأخير وقال له ويلك أنا أحق بهذه الصفة فى أخى منك فهلا وصفتنى بها وجعل يبكى .

١١ — وآخر ما تمثل به من الشعر ماحدث به الشعبى قال :—

دخلت على عبد الملك بن مروان فى علته التى مات فيها فقلت ، كيف تجدك يا أمير المؤمنين، فقال أصبحت كما قال عمرو بن قئة

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عنى عنان لجامى
رمتنى بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أنهـا نبل إذن لاتقيتها ولكننى أرمى بغير سهام

وأهلكنى تأميل يوم وليلة وتأميل عام بعد ذاك وعام

فقلت كيف ذلك يا أمير المؤمنين وهذا كما قال لبيد

قامت تشكى إلى الموت مجهشة وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فان تزادى ثلاثا تبلغى أملا وفى الثلاث وفاء للثمانينا

فعاش حتى بلغ التسعين فقال

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عن منكبى ردائيا

فعاش والله حتى بلغ مائة وعشرين فقال

وغنيت دهرا قبل مجرى داخس لو كان للنفس اللجوج خلود

فعاش حتى بلغ مائة وأربعين فقال

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذى الناس كيف لبيد

فتبسم عبد الملك وقال ، قويت والله من نفسى بقولك ياعامر ، وإنى لأجد خفا ومابى من بأس ، وأمر لى بصلة وقال اجلس ياشعبى فحدثنى ماينك وبين الليل ، فجلست فحدثته حتى أمسيت وخرجت من عنده فما أصبحت حتى سمعت الواعية فى داره ؟

للموضوع بقية

الشعبى بيروى